

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ

إتمام الحوار لنكات آية الجمعة مع الآثار

و تتميماً لمقالة الشيخ مرتضى الحائري حول التسالات الموجهة إلى الآية، سنشتعرض بقية حواره قائلاً:

«و منها:

Ø أنه ليس الألفاظ موضوعة لخصوص الصّحيح -كما حرّناه في الأصول- حتى يقال: إن الشرط هو النداء إلى الصلاة الصّحيحة (أي بحضور المعصوم).

Ø وعلى فرض كونها موضوعة لخصوص الصّحيح فقد مر أن الشرط في متن الواقع هو دخول الوقت (المستوجب لوجوب الصلاة) و الشرطية المذكورة كنайة عن ذلك، و الاعتبار (و العبرة) إنما هو بالمعنى عنه (أي فعلية الوقت).

Ø وعلى فرض كون الشرط هو النداء إلى الصلاة الصحيحة، فلا ريب في تحقق النداء للصلاحة الصحيحة، و هي الأعم من الظاهر و الجمعة (فبالتالي ستتوجب صلاة الجمعة وفق الأعمّ).

Ø نعم، لو كان الشرط كنайة عن صيرورة الجمعة في شرف الانعقاد، فقد يقال بناء على الصحيح: إن المعني عنه هو الجمعة الصحيحة و هو كما ترى من حيث المبني و البناء:

– أمّا الأول: فقد مر أن الأقرب والأظهر كونه (النداء) كنайة عن دخول الوقت.

– وأما الثاني: فلأنه ليس في البين لفظ «صلاة الجمعة» (أساساً) و لم يثبت لزوم الحمل على الصحيح فيما يكتنّ به عن الصلاة و لو على القول بوضع ألفاظ العبادات لل الصحيح (ولكن وفق «من» البيانية ستفسر الآية «بصلاة يوم الجمعة» كما صرّح به مسبقاً).^[1]

و إنّا نتالّف معه أيضاً فإن صلاة الجمعة التي قد تحدّمت مطلوبيتها و مأموريتها للامثال، قد تمثّلت بزمن الحضور لأنّها القدر المتيقن، فوفقاً لل صحيحي لو ارتبنا في وجوبها أثناء الغيبة لما عدّت مأمورة، و هذا حوار مبنائي أساساً.

ثم سلط الشيخ الحائري الضوء على محتملات «من» الجار قائلاً:

«إنّ قوله تعالى «منْ يَوْمُ الْجُمُعَةِ» يَحْتَلِمُ من حيث التّعلّق وجوهاً:

Ø الأول: أن يكون بياناً للظرف المستفاد من قوله تعالى «إذا» يعني في الزَّمان الذي «نُودِي لِالصَّلَاةِ» و كان الزَّمان المذكور «مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ» و هو الذي اختاره غير واحد من محققـي علم التفسير، كصاحب الكشاف و غيره.

Ø الثاني: أن يكون متعلقاً بـ«نودي» (لا إذا) و يكون «من» بمعنى «في» (الظرفية).

Ø الثالث: أن يكون متعلقاً «بـالصلـاة» أي الصـلاة الكـائنة في يوم الجمعة، فيكون أيضاً بـمعنى «في». [2]

على الأوـلين ليس الشرط إـلا النـداء لأـصل الصـلاة لا خـصوصـاً صـلاة الجمعة، و الشـبهـةـ المـذـكـورـةـ (ـالـتـابـعـةـ مـنـ المـحـقـقـينـ البرـوجـرـديـ وـ الـخـوـئـيـ حـيـثـ قـدـ اـسـتـأـظـهـرـاـ بـأـنـ «ـمـنـ»ـ يـتـعـلـقـ بـالـصـلـاةـ أـيـ صـلاـةـ يـوـمـ الـجـمـعـةـ)ـ مـبـنـيـةـ عـلـىـ الـوـجـهـ الـأـخـيـرـ وـ هـوـ مـرـدـودـ لـوـجـوهـ:

منها: لزوم أن يكون «من» بـمعنى «ـفـيـ»ـ وـ هـوـ شـاذـ كـمـاـ يـظـهـرـ مـنـ الـمـغـنـيـ وـ غـيـرـهـ.

وـ منها: لـزـومـ تـقـدـيرـ الفـعـلـ (ـالـعـامـ)ـ أوـ شـبـهـهـ لـتـصـحـيـحـ الـتـعـلـيقـ.

وـ منها: ظـهـورـ الـمـتـعـلـقـاتـ فـيـ أـنـ تـكـونـ مـتـعـلـقـةـ بـأـصـلـ الـقـضـيـةـ،ـ لـاـ بـعـضـ مـتـعـلـقـاتـهاـ.

وـ منها: أـنـ تـعـلـيقـ الـوـجـوبـ بـالـنـدـاءـ لـلـجـمـعـةـ -ـ الـمـوـجـبـ لـاـخـيـارـ الـمـكـلـفـينـ فـيـ تـرـكـهـاـ -ـ بـعـيـدـ فـيـ مـقـامـ التـشـرـيعـ.

فالظـاهـرـ تعـيـنـ أـحـدـ الـأـوـلـينـ،ـ خـصـوصـاـ مـعـ وـضـوحـ الـكـلامـ عـنـ الـمـخـاطـبـيـنـ وـ عـدـ إـجـمـالـهـ لـدـيـهـمـ،ـ معـ إـمـكـانـ صـحـةـ الـاستـدـلـالـ بـهـاـ عـلـىـ ذـلـكـ أـيـضاـ،ـ إـذـ الـمـفـرـوضـ الـنـدـاءـ إـلـىـ صـلاـةـ الـجـمـعـةـ الصـحـيـحةـ،ـ وـ لـاـ رـيبـ أـنـ الـمـنـادـيـ يـنـادـيـ فـيـ جـمـعـ الـأـوقـاتـ إـلـىـ صـلاـةـ الـجـمـعـةـ الصـحـيـحةـ وـ لـوـ فـيـ عـصـرـ الـخـلـفـاءـ وـ مـصـرـهـ،ـ فـيـجـبـ عـقـدـ الـجـمـعـةـ الصـحـيـحةـ،ـ فـيـكـشـفـ عـنـ ذـلـكـ الـقـدـرـةـ عـلـىـ ذـلـكـ مـطـلـقاـ.ـ [3]

فرغم طـرـوـءـ هـذـهـ الـمـحـتمـلـاتـ وـ لـكـ النـاتـجـ الـأـخـيـرـ الـحـاسـمـ لـمـخـلـفـ أـبعـادـ الـآـيـةـ كـالتـالـيـ:

1. لقد أـبـرـمـ جـلـيـاـ أـنـ الـآـيـةـ تـخـصـ وـ تـحـصـرـ عـلـىـ «ـصـلاـةـ الـجـمـعـةـ»ـ فـحـسـبـ إـذـ لـمـ يـحـتـمـلـ أـحـدـ أـنـهـ تـتـحدـثـ حـولـ «ـالـنـدـاءـ لـصـلاـةـ ظـهـرـ يـوـمـ الـجـمـعـةـ»ـ أـسـاسـاـ،ـ فـإـنـ سـيـاقـ الـآـيـاتـ الـثـلـاثـ 9ـ إـلـىـ 11ـ قدـ رـكـزـتـ عـلـىـ أـحـوـالـ صـلاـةـ الـجـمـعـةــ مـعـ خـطـبـتـهـاـ أـيـضاــ فـوـقـتـنـدـ لـاـ يـتـفـاـوتـ أـنـ تـعـلـقـ «ـمـنـ»ـ بـإـذـاـ أوـ بـنـودـيـ أوـ بـالـصـلـاةـ.

2. وـ أـمـاـ قـضـيـةـ «ـتـأـكـيدـ التـشـرـيعـ الـمـسـبـقـ»ـ فـقـدـ تـرـسـخـ أـنـ صـلاـةـ الـجـمـعـةـ قـدـ انـعـقـدـتـ حـتـمـاـ قـبـلـ نـزـولـ الـآـيـةـ الشـرـيفـةـ،ـ وـ حـيـثـ قـدـ أـكـدـتـ التـشـرـيعـ الـماـضـيـ فـقـدـ حـرـمـتـ مـنـ «ـإـجـرـاءـ الـإـطـلاقـ بـحـقـهـاـ»ـ إـذـ الـمـحـورـ الرـئـيـسيـ عـقـلـائـيـ هيـ مـلـاحـظـةـ أـحـوـالـ الـمـؤـكـدـ لـاـ الـمـؤـكـدـ،ـ فـبـالـتـالـيـ لـاـ تـلـقـ حـكـمـ صـلاـةـ الـجـمـعـةــ سـيـانـ الـحـضـورـ وـ الـغـيـبـةــ بـلـ قـدـ ثـبـتـتـ أـسـاسـ وـجـوبـ الـصـلـاةـ فـحـسـبـ،ـ فـقـصـارـيـ مـحتـوىـ الـآـيـةـ أـنـ قـدـ أـكـدـتـ تـشـرـيعـ أـصـلـ الـوـجـوبـ لـدـيـ فـعـلـيـةـ الـوـقـتـ مـنـ دـوـنـ أـنـ تـسـتـذـكـرـ بـقـيـةـ الـجـزـئـاتـ أـوـ الـشـرـائـطــ كـلـزـومـ الـحـضـورـ أـوـ تـجـوـيزـ الـغـيـبـةــ أـيـضاــ.

3. فـحـتـىـ الـآنـ قـدـ رـافـقـنـاـ الـمـحـقـقـينـ الـبـرـوجـرـديـ وـ الـخـوـئـيـ فـيـ هـذـهـ النـفـطةــ أـصـلـ التـشـرـيعــ فـحـسـبـ،ـ وـ لـكـنـ قـدـ عـارـضـنـاهـماـ حـينـماـ فـسـرـاـ:ـ «ـإـذـاـ نـودـيـ»ـ بـأـذـانـ الـصـلـاةـ وـ ثـمـ انـعـقـادـ شـرـائـطـهـاـ تـامـاــ حـتـىـ تـوـجـبـ الـصـلـاةــ بـيـنـماـ لـاـ تـوـاجـدـ أـيـةـ مـلـازـمـةـ بـيـنـ الـأـذـانـ وـ الـنـدـاءــ وـ بـيـنـ انـعـقـادـهـاـ بـكـافـةـ شـرـوطـهـاـ وـ ذـلـكـ وـفـقـ الـبـراـهـيـنـ وـ الـشـوـاهـدــ كـلـاـرـتـكاـزـ الـعـقـلـائـيـ وـ السـيـاقـــ الـتـيـ قـدـ اـسـتـأـجـلـبـهـاـ الشـيـخـ مـرـتضـيـ الـحـائـريـ مـسـبـقاـ بـأـنـ الـآـيـةـ تـكـنـيـ عنـ دـخـولـ الـوـقـتـ فـحـسـبــ وـ لـاـ تـتـحدـثـ حـولـ شـرـائـطـهـاـ كـاـلـأـذـانـ وـ...ـ حـتـىـ تـلـازـمـ انـعـقـادـهـاـ الـخـارـجـيــ.

4. وـ اـمـتدـادـاـ لـهـذـهـ الـلـوـامـعـ،ـ قـدـ نـجـمـ أـنـ فـقـرـةـ:ـ «ـفـاسـعـواـ إـلـىـ ذـكـرـالـلـهـ»ـ تـخـصـ الـذـكـرـ الـصـلـاتـيـ بـلـوـنـ الـوـجـوبـ تـامـاـ،ـ مـضـادـاـ لـمـزـعـومـةـ

المحققين البروجردي و الخوئي حيث قد فسّرَا الذّكر بحضور الخطبة ثم عَقِبَا عليه بأنّه لو عُدّ الحضور مستحبّاً فسيُنْتَج استحباب صلاة الجمعة أيضاً، بينما قد خالفا الظاهر المُنجلي جداً إذ -وفقاً لبراهمين الشیخ مرتضی الحائری أيضاً-:

Ø لا يصدق «الذّكر» على الخطبة بل ينسجم مع الصّلاة فحسب - أو على الأقلّ الصّلاة مع الخطبة.

Ø بل قرينية «إذا قضيت الصّلاة» قد دلّلت على انقضاء السعي نحو الصّلاة لا الخطبة، وبالتالي سُتُرجم حصيلة الآية كالتالي: إذا دخل وقت صلاة الجمعة فسيتوّج بـالانطلاق نحو الذّكر الصّلاتي.

5. فوزان الآية لا يُضاهي المثال الشهير: «إذا زالت الشمس فصل» كي تستخرج أصل التشريع مع إطلاق خصال الصّلاة، فإنّا وفقاً للهجمات التي أوردها تجاه الشیخ الحائری، لم نستظرها عرفاً من العبارة المؤكدة بالإطلاق - حضوراً و غيبة - بل قد اهتمّ بزرع التشريع الإلهي بلا رؤية لمواصفاته أساساً.

6. و حيث تُدلّل على أصل الوجوب فستندرج ضمن الآيات الوفيرة التي لا تتحدد عن جزئيات المسائل بل ترتكز على خصوص التشريع الإلهي كما أسلفنا - نظير آية: «خذ من أموالهم صدقة» و نظير: «ولكم في الفحاص حياة» - فلو افترضناها بصدق تبيين الإطلاق لواجهت «مقيّدات» غزيرة بحيث لا تتلاءم مع شأنية القرآن و شموخه أبداً.

[1] حائری، مرتضی. ، صلاة الجمعة(حائری)، صفحه: ١٢٧ جماعة المدرسین في الحوزة العلمیة بقم. مؤسسة النشر الإسلامي.

[2] وقد اختاره الأستاذ المجلل و دعمته أيضاً بدلائل نحوية و ظهوريّة مسبقاً، فإنه الأنسب والأمثل للظهور إذ الأقرب يمنع الأبعد.

[3] نفس الینبوع ص 129.